

أثر التجربة الفكرية

لدى المفكر الإسلامي الكبير الدكتور محمد عمارة

على مشروعِهِ النهضويّ

الزهراء للإعلام العربي - القاهرة ٢٠٠٩ م

ملخص البحث

واتخذ ذلك مسارًا إصلاحيًا تجديديًا تكون من خلاله مشروع النهضة لديه على عدة مستويات كالآتي:

أ- تجاوز المفكر الإسلامي الكبير، طريقة الرصد والتسجيل للمناهج والآراء والأفكار المخالفة للمنهج الإسلامي كما هي سائدة في بعض الأوساط الفكرية الأكاديمية، وتجاوز أسلوب الوعظ والاستنكار السائد في الأوساط الدعوية، وتعالى على طريقة التكفير والوعد والوعيد التي كانت سائدة لدى الجماعات الطائفية.

تجاوز كل ذلك إلى النقد والتحليل والشرح والتفسير، ثم القولية والتنظير، الذي يقدم الطرح الإسلامي في نظريات إسلامية متكاملة لأغلب القضايا والمشكلات الفكرية المعاصرة التي تصب في المشروع الكبير (نظرية النهضة الإسلامي

ب - معالجة القضايا الفكرية التي تحتاج إلى عمق في دراسة الفكر الإسلامي، وإطلاع ورؤية للفكر الغربي، وجهد فكري مكثف، مما جعله يسهم بتجربته وجهوده في هذا الميدان.

ج - مواصلة المسيرة التي بدأتها مدرسة الإحياء والتجديد الديني التي بدأت مع جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، والإسهام في تقديم الحلول للمشكلات الفكرية، ومحاولة تقديم مشروع

حضاري نهضوي للأمة العربية الإسلامية في العصر الحاضر^(١).

د - عندما غلبت موجة صعود الفكر العلماني الليبرالي الماركسي، في مصر أواخر الثمانينات ومطلع التسعينات، واحتد الهجوم على الفكر الديني، والمشروع الإسلامي للنهضة، كان عمارة من كبار المفكرين في مجال الطرح للمشروع الإسلامي والدفاع عنه ضد التكتل الليبرالي الماركسي، في المؤلفات، والمناظرات^(٢)، على أساس أنه: «خبير قديم بالماركسية والماركسيين؛ لغة وفكرًا وممارسة، وأساليب عمل، وأنماط علاقات»^(٣) وكذلك ليؤكد على أن: «الماركسية كما يعلمها المبتدئون والمتعمقون، وأنا واحد من الذين درسوها، وعاشوا تجربتها النظرية والعملية - قبل ما يقرب من نصف قرن - ترى كما يقول واحد من أساتذتها: أن المادة مستكفية بنفسها، مستغنية عن خالق يوجدها»^(٤).

و توجه بخطاب فكري نصح فيه الماركسيين والعلمانيين العرب المعاصرين مبنيًا أنه:

(١) انظر د. محمد علي أبو هندي: مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية ص ٢٠١.

(٢) راجع: د. محمد عمارة: الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين: (مناظرة في رحاب كلية الاقتصاد والعلوم السياسية سنة ١٩٨٩م - أدارها: د. فاضل رسول وشارك فيها د. محمد عمارة، وفهمي هويدى، والمستشار طارق البشري، ود. محمد سليم العوا ود. محجوب عمر ود. سعد الدين إبراهيم ود. علي الدين هلال، ومهدي حافظ) - ط ٢٠٠٠م - نخبة مصر - القاهرة.

- مناظرة: مصر بين الدولة الدينية والدولة المدنية، التي عقدت بمعرض القاهرة الدولي الرابع والعشرين للكتاب سنة ١٩٩٢م، أدار المناظرة: د. سمير سرحان. وطرفها الأول: الشيخ محمد الغزالي، المستشار مأمون الهضيبي، د. محمد عمارة. وطرفها الثاني: د. فرج فودة، د. محمد خلف الله - أعددتها للنشر: د. صلاح الصاوي - بعنوان: المواجهة بين الإسلام والعلمانية - ط ٢٠٠١م - دار الآفاق الدولية.

- د. محمد عمارة: أزمة العقل العربي: مناظرة بين د. فؤاد زكريا ود. محمد عمارة - في الدوحة - ٢٢ ربيع ثان ١٩ أكتوبر ١٩٩٢م ط ١ - نخبة مصر - ٢٠٠٣م.

(٣) د. محمد عمارة: التفسير الماركسي للإسلام ص ٧.

(٤) د. مراد وهبة: المعجم الفلسفي: مادة مادي، مذهب - القاهرة - ١٩٧١م.

(٥) د. محمد عمارة: التفسير الماركسي للإسلام ص ٣٤.

«قد كانت له تجربة غنية في المراجعة الفكرية، فبعد أن بدأ ثقافته بالقرآن الكريم، وأسس رؤيته على العلم الديني، وأكرمه الله بتجربة روحية شهد فيها عين اليقين - نعمة من الله وفضلاً - شاء الله سبحانه وتعالى، أن يريه الجانب الآخر للصورة، ربما ليؤسس خياره الفكري الإسلامي على «الاجتهاد - المقارن»، وليس على «تقليد الذين لم يروا سوى الموروث»، وربما ليحمل نصيبه في المنافحة عن الهوية الحضارية الإسلامية والتميز الثقافي ومناهضة التغريب، من موقع العالم بخصائص ودقائق ومخاطر هذا التغريب، المالك لمفاتيح كسر شوكته.. فكانت الدراسة للماركسية، والمعاشية للتطبيقات اليسارية - فأصاب الغبش بعضاً من رؤاه.. فلما كانت مرحلة النضج الفكري، والهداية الإلهية، والإياب الحضاري الكامل، راجع أفكاراً كان قد نشرها، وأوقف إعادة طبع مؤلفات كان قد طبعها»^(١).

ولقد جئت بهذا النص على طوله لأنه خلاصة تجربة أخلص صاحبها في النصح، مبيناً أنه ليلبغ قمة الرضا والسعادة والشكر لله عندما «يقرأ آيات من القرآن، فيشعر كما لو أنها نزلت له وفيه ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾^(٢) ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٣) ويقول لنفسه وللآخرين: إن الذين لا يراجعون أفكارهم هم العجزة.. والجناء.. والموتى.. والجمادات»^(٤).

هذا عن ملامح التجربة الفكرية لدى المفكر الإسلامي الكبير الدكتور عمارة، التي كان هديني من وراء تحليلها إبراز الحقائق التي قررها مفكرنا بنفسه من جهة وأثر هذه التجربة على مشروعه الفكري من جهة أخرى، ولاشك أنها ضرورية في التعرف على أبعاد المشروع الحضاري لديه.

(١) د. محمد عمارة: التفسير الماركسي للإسلام ص ١٢٥ - ط ٢ - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م - دار الشروق - القاهرة.

(٢) سورة الأضحى: الآية ٧.

(٣) سورة الشرح: الآيات: ١-٤.

(٤) د. محمد عمارة: التفسير الماركسي للإسلام: ص ١٢٥ - ١٢٦.

جزي الله المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور محمد عمارة خير الجزاء على ما قدمه
للساحة الفكرية من جهود، ونسأل الله أن يبارك في عمره و علمه وعمله، إنه ولي ذلك والقادر
عليه.